أزمة البطالة وطرق معالجتها
بمناسبة الندوة الشهرية ليوم السبت 2007/05/05

عبد الرحمن خروبي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين يضاعف أجر من أحسن عملاً وأشهد أنّ لا إله إلا الله يحب العلمين ويبلغهم الأمل وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله خير من عمل اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين عملوا صالحًا فنالوا خير الدنيا وفضل الآخرة.

أما بعد: أيها السادة السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تمهيد: تعلمون أن الإنسان مفتقر إلى من يقوته ويمونه في حالاته وأطواره من لدن نشوئه إلى أشده وإلى كبره «والله الغني وأنتم الفقراء» والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وأمتن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ الآية (13) من سورة الجاثية، وقال: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم . . . ﴾ الآية (32) من سورة إبراهيم، وقال: «وسخر لكم الأنعام . .»، وكثير من شواهده ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه واحد امتنع من الآخر لا بعوض.

فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما أتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعواض عنها قال تعالى: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له﴾ الآية 17 العنكبوت، ومن هنا نعلم أن الرزق أو المعاش إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد في التحصيل ووجوه المعاش كثيرة.

تعريف المعاش: المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله بشتى الوسائل والطرق المؤدية إليه.

وجوه المعاش:

1- وجود المعاش كثيرة ومتعددة إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرمًا أو جباية أو أجرًا أو عوضا.

2- أو يكون من الحيوانات الداجنة باستخراج فضوله المتصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام ومشتقاته والحرير من دودة والعسل من نحلة.

3- أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لإخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلحًا.

4- وإما أن يكون من الأعمال الإنسانية إما في مواد بعينها وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة وحياكة وخياطة ونسيج . . . وأمثال ذلك كثير.

5- وإما أن يكون في مواد غير معينة كالإمتهانات والتصرفات الكثيرة والمتعددة كالوظائف العمومية في جميع الأسلاك على اختلاف أشكالها وألوانها.

6- وإما أن يكون من البضائع للأعواض إما بالتقلب بها في أسواق البلاد أو احتكارها وارتقاب حوالة الأسواق فيها ويسمى هذا تجارة.

فهذه وجوه العمل وأصدافه وغيرها كثير، ويذكر المحققون من أهل العلم والأدب والحكمة كالحريري وغيره فإنهم قالوا: «المعاش» إمارة، وتجارة، وفلاحة، وصناعة.

- فأما الإمارة فهي ما يسمى عندنا اليوم بالوظيف العمومي في جميع الأسلاك من الأعلى إلى الأدنى.

- وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعيه للمعاش « أي العمل « والفلاحة في مقدمة الجميع إذ هي بسيطة وطبيعة فطرية لا تحتاج إلى نظر أو علم بخلاف الوقت الراهن أصبح لها شعبة تدرس في المعاهد والجامعات، والفلاحة تنسب في الخليقة إلى أبينا آدم عليه السلام وأنه معلمها والقائم عليها وهي أقدم وجوه المعاش «أي العمل» وأنسبها إلى الطبيعة.

- وأما الصناعة فهي ثانيها وهي عملية تصرف فيها الأفكار والأنظار وتنسب إلى النبي إدريس عليه السلام الأب الثاني للخليقة فإنه مستنبطها لمن بعده من البشر وذلك بالوحي الإلهي.

- وأما التجارة وإن كانت طبيعية في العمل أو المعاش إلا أن أكثر طرقها ومذاهبها إنما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في البيع والشراء لتحصل الفائدة من تلك الفضلة.

ولذلك أباح الشرع الحكيم فيه المحاسبة لما أنه من باب المقامرة إلا أنه ليس أحدًا لما العير مجانًا فلهذا اختص بالمشروعية والله أعلم.

أزمة البطالة: «ماهي البطالة»؟

تعريف البطالة: هي الكسل وترك العمل أو هي التواكل والاعتماد على الغير وعدم الأخذ بالأسباب، وإذا قلنا: رجل بطال معناه لم يجد عملاً يعمله أو بابًا يسترزق منه.

والحديث عن البطالة يجرنا إلى الحديث عن الأزمات التي، يعاني منها الاقتصاد الوطني الجزائري ويتم عادة تناول ظاهرة البطالة في الجزائر الحبيبة وتعطى لنا أرقام متضاربة كالعادة

من هذه الظاهرة بالرغم من وجود هيئات مختصة بإمكانها خصر هذا العدد من البطالين بمستوى كبير من المصداقية أو بمعنى آخر إعطاء أعداد تقترب كثيرا من العدد الصحيح والدقيق.

النسبة: «نسبة البطالة في الجزائر»

فبعض المصادر تشير إلى أن نسبة البطالة في الجزائر تصل إلى 20 % ويرى آخرون أن هذه النسبة وراءها هيئات سياسية تسعى إلى التقليل من هول الظاهرة ويقولون بأن النسبة الحقيقية تتجاوز 30% .

وأيا كانت النسبة الصحيحة من السابقين وحتى لو كانت الأدنى أي: 20 % فإن المتفق عليه أن هناك نسبة بطالة مرتفعة في المجتمع تكاد تكون الأعلى في البلدان العربية لولا أن بعض هذه البلدان تعيش تحت وطأة الحروب الأهلية كالسودان والصومال أو تعيش تحت الاختلال كالعراق وفلسطين.

وأنا إذ أتناول هذا الموضوع من خلال هذه المداخلة المتواضعة أحببت أن أوضح بعض الأمور التي يمكن اعتمادها كمنطلقات نحو الخوض في هذا المجال وذلك حتى أتمكن من الوصول إلى نتيجة بعيدة عن التهويل أو التهوين من خطر البطالة وهذا يتطلب ما يلي:

تصنيف اليد العاملة: إن وضعية اليد العاملة في الجزائر يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام:

أولا: يد عاملة منتجة ذات مستوى تأهيل عالي أو متوسط ولكنها تعمل في غير مجال اختصاصها كحامل ليسانس في الأدب يعمل تاجرًا، أو المهندس الفلاحي يعمل سائق أجرة، وطبيب بيطري يعمل معلمًا في الابتدائي، ومهندس معماري يعمل حارسا بلديا ضمن أعوان الأمن.

ثانيا: يد عاملة بسيطة ذات خبرة طويلة في فن معين ولكنها بحكم ظروف قاهرة أصبحت تمارس حرفة أخرى كما هو الشأن بالنسبة لآلاف العمال الذين تم تسريحهم بعد تصفية المؤسسات العمومية أو خوصصتها بحيث أصبح عامل الصيانة في الميكانيك يشتغل بالفلاحة وهو لا يتقنها وذلك سعيا وراء لقمة العيش.

ثالثا: يد عاملة شابة وقادرة على العمل وذات تأهيل عالي أو متوسط أو بسيط ولكنها لا تمارس أي عمل وتراها تملأ الساحات العمومية والمقاهي وتتكئ على الجدران حتى اشتهرت الجزائر باستضافة مرادف آخر للبطالة وهو «الحيطيست».

طبيعة هذه الأقسام الثلاث وخطورة البطالة:

إذا تألمنا مليًا في طبيعة هذه الأقسام الثلاثة نجد أن النوع الثاني وإن كان يمثل إهدارا للطاقات وضياعا للأموال والجهود التي صرفت من أجل تكوين هؤلاء إلا أن النوع الثالث هو أشد خطرًا على المجتمع وذلك لكون هذه اليد قادرة على العمل والعطاء ولكنها لا تفيد المجتمع بشيء بل بالعكس

كثيرا ما أضرته باتجاهها نحو الزيغ والانحراف بممارسة السرقة والسطو على المنازل والتعرض للناس جهارا ونهارا وأخذ أموالهم بالعنف وإزهاق أرواحهم أحيانا أخرى أو ممارسة البغي والأعمال غير المشروعة ذات الربح السريع كالمتاجرة بالمخدرات والكحول وغيرها.

تأملات في طبيعة الجزائر:

والذي يتأمل في طبيعة بلدنا الجزائر وموارده الطبيعية نجده غنيا بكل المقاييس من أراض صالحة للزراعة في الشمال والجنوب إلى ثروات طبيعية ضخمة كالبترول والغاز والحديد والنحاس والكبريت والزئبق والفوسفات . . . إلخ.

إلى إمكانات سياحية هائلة يمكن أن تجذب السائح من أي مكان في العالم لولا التحجج دائما بالأوضاع الأمنية، بينما الحقيقة التي يجب أن نصارح بها أنفسنا هي:

وجود خلل في استقلال هذه الثروات وسوء توزيع الدخل المتأتية منها بشكل عادل وخاصة وأن هذه الثروات يمكن أن تغطي حاجة سكان المائة مليون نسمة ونحن لم نصل بعد في الجزائر إلى ثلث هذا العدد السكاني.

رأي العامة:

وإذا تجاورت مع الشباب تجدهم يلقون اللوم على أولى الأمر ويقولون بلغة واحدة، إن المسؤولين في هذا البلد الغني يبخلون علينا ولا يريدون أن يوفروا لنا فرص العمل، بل إن بعض الشباب الذين لهم شهادات عليا . . . يقولون إن المسؤولين لا يرغبون أن يشاركهم أحد في الغنيمة، ويعنون بذلك ثروات البلاد وخيراتها، وهل هذا صحيح ؟ قد يكون صحيحًا ولكنه بشكل نسبي جيدًا، إذ يقتصر على العمل في الإدارات وبعض الخدمات المريحة ولا ينطبق في معظم الأحيان على الميادين المختلفة والأنشطة المتعددة التي يمكن أن يقتحمها الإنسان والشباب بصفة عامة.

والجميع يعلم أن الجزائر انتقلت إلى نظام اقتصاد السوق وأهم مميزات هذا النظام، هو تقليص دور الدولة كفاعل اقتصادي واقتصارها على دور المراقب أو الموجه، والشيء الذي ينتج عن هذا كله هو تراجع القطاع العمومي على حساب القطاع الخاص، وما يترتب عن ذلك من تقليص للنفقات العمومية وتشجيع الاستثمار في القطاعات المنتجة اقتصاديا «بالمفهوم الرأسمالي» على حساب القطاعات غير المنتجة بالمفهوم السابق مثل: التعليم والصحة والفلاحة والصناعة بنوعيها «الخفيفة والثقيلة».

الشطر الثاني: الحل لمعظلة البطالة وطرق معالجتها:

أولا : بعدما علمنا وجهة بلادنا وأنها دخلت إلى اقتصاد السوق وأنها تشجع القطاع الخاص،

وتدعو إلى الاستثمار، يبقى على الجزائري أو العامل الجزائري إذا أراد أن يخرج من ربقة البطالة أن يتعلم كيف ينشئ منصب عمل لنفسه، ولا ينتظر من الدولة ولا من غيرها أن تمنحه هذه الفرصة.

ثانيا: أن مساحة الجزائر مليونان وثلاثمائة وواحد وثمانون ألف وسبعمائة وواحد وأربعون كيلو متر مربع أي 2381741 كلم^2 وما يستغل من هذه المساحة الكبيرة سوى ثلاثة في المائة (3 %) من المساحة الكلية فلو زادت النسبة على هذه لكان الحل لمسحه البطالة كبير ولوجد الشباب العاطل ضالته.

ثالثا: تجهيز القطاع الفلاحي بالوسائل الحديثة:

1- بناء السدود واستغلال مياه الأمطار أحسن استغلال وحفر الآبار.

2- التشجير لحماية التربة من الانحراف وزحف الرمال.

3- تشجيع الشباب على استصلاح الأراضي بالجنوب.

4- تعميم المعاهد الخاصة بتكوين الفنيين الزراعيين.

5- تشجيع الشباب على تربية الأبقار في الشمال وتربية الإبل في الصحراء للاستفادة من لحومها وألبانها وأوبارها.

6- تشجيع الشباب على تربية الدواجن بالأساليب العصرية لتوفير اللحوم البيضاء والبيض لأن للثروة الحيوانية أهمية بالغة في توفير الغذاء للسكان.

رابعا: إنشاء المشاريع الصغيرة والمتوسطة في مختلف المجالات ويبقى على الدولة بعد ذلك التوجيه والتوفير لكل الشروط التي تساعد على إنجاز هذه المشاريع.

إعتراف:

والحق يقال، إن الدولة الجزائرية حسب ما نسمع ونرى ونلمس في الميدان لم تدخر جهدا في توفير الإطار القانوني، وتوفير مصادر التمويل اللازمة، لتشغيل الشباب، إضافة إلى إعفاءات ضريبية معتبرة، ولم يبق بعد هذا أي احتجاج للشباب البطال.

مقارنة الجزائر بالدول الأجنبية:

في بعض البلدان الغربية والأوروبية (على سبيل المثال في إيطاليا) يتجاوز عدد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الثلاثة ملايين مؤسسة كلها تابعة للقطاع الخاص، وبطاقات فردية للشباب، مع أن نسبة الشباب في هذا البلد الأوروبي والعديد من البلدان الغربية لا تصل إلى نسبة ما نملكه نحن من الشباب ومع ذلك فلا يتجاوز عدد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة

عندنا بضعة آلاف، في حين أن عدد سكاننا يصل إلى نصف عدد سكان إيطاليا أو يتجاوزه.

تعلم الحرفة أو الصنعة في الإسلام:

فليعلم الجميع أن سعي الإنسان في إيجاد حرفة له أو تعلم صنعة ما ليس نظاما عربيا مستحدثا بل هي فكرة إسلامية أصلية فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**ما فتح الرجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب الفقر، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيعمد إلى هذا الوادي فيحتطب فيه ثم يأتي سوقكم هذا فيبيعه بمد من تمر لكان خيرا له من أن يسأل الناس أطوه أو منعوه**» متفق عليه، وقال سيدنا عمر يا معشر الفقراء أرفعوا رؤوسكم واتجروا فقد وضح الطريق ولا تكونوا عيالاً على الناس.

وهذا يدلنا على أن الإسلام يمكن أن يضع نفسه ضمن القسم الثاني من الأقسام المذكورة سابقا ولو مؤقتا وإياكم والقسم الثالث، وخير مثال في الإسلام سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عندما هاجر إلى المدينة بدأ حياته من الصفر، وأبى أن يأخذ من أخيه الذي جعله في الإسلام رحاله شيئا وقال قولة مشهورة: « أمسك عليك مالك وزوجك وأقرضني دينارين ودلني على السوق»، بحيث أن أول عمل قام به هناك أنه طلب من الناس أن يدّلوه على السوق فبدأ يبيع ويشتري بما عنده من النقود القليلة حتى أصبح من أغنى أغنياء المسلمين، وكان غناه عونا للمسلمين، ولم يمنعه العمل في التجارة من أن يكون من العشرة المبشرين بالجنة.

مثال آخر حديث العهد: أذكر أن رجل أعمال جزائريا شاهدته في الشاشة الجزائرية ضمن حصة بدون تأشيرة هذا الرجل يملك شركة كبرى للإعلام الآلي بكندا وكندا بلد غربي وهذا الرجل من أصل جزائري كما قلت يملك شهادة مهندس خرج من الجزائر، وهو لا يملك سوى كفاءته العلمية وعندما حاوره التلفزيون الجزائري في إطار حصة بدون تأشيرة للصحافي القدير سمير شعابنة عن أسباب هذا النجاح قال: يجب على الجزائري أن يتخلى عن فكرة الدولة هي التي توفر له عملا وتعطيه سكنًا، وأن يعتمد على نفسه وسينجح أينما ذهب.

والنماذج من هؤلاء الرجال كثيرة، ولست من خلال هذه المداخلة أشجع الشباب على الهجرة بقدر ما أبصره بنتيجة الاعتماد على النفس بغض النظر عن المكان الذي يتواجد فيه وإلا كما قال أحدهم:

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال
وإذا خشيت تعذرا في بلدة ... فاشدد يديك بعاجل الترحال
واصبر على غير الزمان فإنما ... فرح الشدائد مثل حل عقال
الحمد لله الحميد بمنه ... خسرت ولم تربح يد البطال

الخلاصة:

والخلاصة التي ألمت بها هذه المداخلة المتواضعة والنتيجة الحتمية التي وصلت إليها، أن البطالة في الجزائر كما قال المحققون في معظمها بطالة وهمية للأسباب التي ذكرتها وهي في الحقيقة مشكلة مفتعلة، حلها بأيدي الشباب وذلك بأن يشمروا عن ساعد الجد لكي يتعلموا شيئا اسمه الاعتماد على النفس والكفاءات العلمية، وأن الرزق يتطلب السعي بدليل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ الزمر الآية (20).

وقوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ سورة الملك الآية (15).

ونعلم من هذا أن ما خلقه الله في هذا الكون وما أوجده في الأرض من خيرات يكفي سكانها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، على أساس أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وإن ما يحدث فيها من حين لآخر من مجاعات وفقر واضطرابات هو ناتج في الأساس عن سوء استغلال وتوزيع لثروات بين البشر، إذ ليس في الإسلام ما يسمى بالمشكلة الاقتصادية التي يحذر منها الغربيون والتي تعنى عدم التوافق بينما حاجات السكان المتزايدة في هذه الأرض من جهة ومواردها المحدودة من جهة أخرى فلو كانت هذه المشكلة حقيقة وفعلية كما يدعون فهذا معناه وجود خلل في خلق هذا الكون تعالى الله عن هذا وذلك علوًّا كبيرًا.

ولهذا نجد بعض البلدان تسنُّ قوانين لتحديد النسل ومن بين هذه البلدان الصين واليابان وبعض الدول الأوروبية وبعضهم قرروا تنظيم النسل، والغريب في الأمر أن أوروبا كما قال المحققون الجغرافيون والديمغرافيين ... إلخ، إنها في سنة 2025 م تحتاج إلى يد عاملة أجنبية تفوق مائة وعشرين مليون عاملا (120) وهذا حسب الدراسات التي أجروها على مستقبل أوروبا.

عتاب:

وأخيرا أود أن أوجه بعض التساؤلات إلى الشباب «الحيطيس» والذي اختار في معظم الأحيان أن يكون بطالاً وينأنف العمل فأقول: أليس العار والعيب أن يأتي الفرنسي أو الإسباني أو الصيني أو الياباني ... إلى الجزائر فيقيم فيها مشروعًا صناعيا أو زراعيًا ... في أقصى البلاد كمنطقة الصحراء الشرقية الجزائرية فينتج فيها ويزرع فيها العجب العجاب وشبابنا يدعون عدم وجود العمل.

أليس من العار والعيب أن تقف البواخر الأجنبية صفوفا أمام موانئنا لتفرغ ما أتت به من حمولات جلبتها من مجتمعات عجوز وكل ذلك بسبب تقاعس الشباب وقلة الموجهين أصحاب الكفاءات.

أليس من المخجل أن يصطف الشباب أمام السفارات الغربية طلبا لتأشيرة الهجرة في حين أنهم

لا يعلمون ما يميز شرق بلادهم العزيز من غربها أو ما يوجد في شمالها لا يوجد في جنوبها بل لا يدرون أنهم يمشون على كنوز من الخيرات والثروات في بلادهم ويعتقدون أنها السجن وأن بلاد الغرب هي الجنة الموعودة فمتى تستفيق ايها الشاب من هذا الوهم وتستيقظ من هذا النوم.

لقد كان سلفنا الصالح من اعتمادهم على الله في جميع أمورهم وثقتهم به عظيمة، يهتمون بمعاشهم لم يتركوا طريقا شريفا إلا سلكوه ولا بابا مغلقا إلا عالجوه وفتحوه فقد رعي الغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صغره وأتجر في كبره واتجر أصحابه رضي الله عنهم في البر والبحر وعملوا في نخيلهم ومزارعهم وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة».

فمن ألف البطالة والكسل وترك العمل فقد ترك سبيل الرشد والهدى وسقط في هوة الردى ولم يهتد بهدى الإسلام فمن جد واستغنى بكسبه لم يستخف به أحد، وعاش عزيزا كريما ونال في آخرته أجرا عظيما.

أيها العامل أحرص على ما ينفعك واعمل لخير دنياك وآخرتك واستعن بالله ولا تعجز يزدك قوة ويهب لك ثروة ويحفظك من جناية البطالة والكسل ونعم أجر العاملين.

دعاءك

اللهم أرشدنا إلى ما فيه صلاحنا وازدهار بلادنا وارزقنا القوة في أجسامنا كي نحقق آمالنا ونسعد بخير الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

عناصر الموضوع:

1- تمهيد
2- تعريف المعاش «أي العمل»
3- وجوه المعاش
4- أزمة البطالة
5- تعريفها
6- نسبة البطالة في الجزائر
7- تصنيف اليد العاملة «أي تقسيمها»
8- تأملات في طبيعة الجزائر
9- رأي العامة من الشباب
10- الحل لمعضلة البطالة وطرق معالجتها
11- اعتراف بالجميل
12- مقارنة الجزائر بالدول الأجنبية
13- تعلم الحرفة أو الصنعة من الإسلام وأمثلة على ذلك
14- الخلاصة
15- الدعاء

المراجع:

1- مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن
2- مجلة العصر الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
3- ديوان الخطب المنبرية لوزارة الشؤون الدينية.
4- القاموس الجديد للطلاب
5- كتب التاريخ والجغرافية المعد لمدارس التربوية